

PJ 7808

.S5xZ53

Ibrahim, Muhammad 'Abd al-Fattah
(Ahmad Zaki Abu Shadi)

DATE DUE

[illegible]

Princeton University Library



32101 060544408

أحمد زكي أبو سادي

مؤلف مع الشاعر الشاعر أستاذ

الجيل الذي أنشأته مدرسة

أبولو في كتاباته الأدبية .

بقلم

الأمير الای أركان الحرب

محمد عبد الفتاح

مايو ١٩٥٥

Ibrāhīm, Muḥammad
Abd al-Fattāh

أحمد زكي أبو شادي

مؤلف مع الشاعر الشاعر أستاذ

الجيل الذي أنجزته مدرسة

أبولو في كتاباته الأدبية .

بقلم

الأمير الای أدکان الحرب

محمد عبد الفتاح أبو ربيع

مايو ١٩٥٥

وكان أبو شادى أمة وحده ..
كان مجموعة رجال فى رجل ، كان مبرزاً فى كل نواحى الحياة
على تباين ألوان النواحى التى ساهم فيها بعمله وقلمه .
كان طبيباً ناجحاً وكان كيميائياً فذاً
كان نحالاً عالماً بالنحل ، وكانت دراساته فى النحلة مراجع
للأخصائين فى هذه الصناعة .

وكان تعاونياً من البواكير الأولين الذين عملوا من أجل التعاون
وكان أستاذاً محاضراً يذكر طلبته ما لقنوه منه من علم بأطيب
الذكريات .

ولكن أبا شادى كان قبل هذا كله شاعراً نجح فى كل ضروب
القصيد ، ينظمه أسرع مما تصفه آلة الطباعة . . . حتى عيبت عليه كثرة
الانتاج ، ولكن أبا شادى لم يكن ينظم عن صناعة ، بل إنه ينظم من
وحى احساس نفسه التى كانت مورداً لا ينضب معينه .

كان أبو شادى كاتباً كأقوى ما يكون الكاتب الحكيم
كتب فى الأدب والتاريخ والدين والاقتصاد ونجح فى كل ما عالج
من موضوعات ولم يخطئ التوفيق فيما رى اليه من أهداف .

وكان أبو شادى أديباً ناقداً ، وكانت كتاباته فى نقد الشعر
والنثر تعالج المبادئ والاصول فكان ما كتبه دعامة المدرسة الحديثة فى
النقد الأدبى .

وكان أبو شادى دعامة مدرسة (أبولو) التى قدمت عدداً من الشعراء

الشبان الافذاذ كالجراحي والهمشري وعتيق والسحرتى وعبد الغفور
والبحراوى ومختار الوكيل والصيرفى وصالح جودت والشابى وغيرهم
وغيرهم .

وكانت مدرسة (أبولو) هى التى قدمت الشاعرات الثائرات من نسيج
لم يعرفه الادب المصرى من قبل، وكانت فى مقدمتهن الشاعرة القصاصة
الاستاذة جميلة العلايلى صاحبة مجلة (الاهداف)

وعاصر أبو شادى الشعراء الافذاذ كطران وشوقى وحافظ وصبرى
ومحرم وعبد الرحمن شكرى ، وقدم الكثير من انتاجهم الادبى الذى
لم يكن ليرقب الضوء لولا مجلة (أبولو) ، ولولا هذا الاكبار من
أبى شادى للشعر والشعراء ، الاكبار الذى كان يدفعه لائن بقتطع من
قوته وقوت أولاده، ليخرج مجلة أبولو ومن بعدها (الامام) للقراء فى
مجلدات ضخمة، جمعت نتاج الشعر الادبى وثمار الأفكار فى الأدب فى
أكثر من قطر، ولعدد من السنين، دون معاونة من هيئة أو حكومة .
كثير هو ما فعله الرجل الذى كان يكتب بوحي من روحه حتى
أفنى هذه الروح ، وكان يكتب فى كل صحف الشرق العربى والمهجر
دون أن يمل الكتابة، ودون أن يفكر فى مال لأنه كان يؤدى رسالة
آمن بها ...

وذهب أبو شادى كما جاء .

وجل من كتب لنفسه الخلود .

* * *

وبعد :هذه صفحات كتبت في أعقاب وصول نيا نعي الصديق
الوفى أثق بأنها وإن عبرت عن مشاعر نفسى لوفاته وأوضحت مدى
الهزة العنيفة التى أصابتنى لفقد الرجل الذى كنت آمل أن يقول
فى وفاتى رثاء من شعره، فكان من قضاء الله أن أكتب أنا هذه السطور
فى الحديث عنه ،والكنى أعتقد أن هذه الصفحات لا تكفى للإشارة
بفضل الرجل، وفى التعريف بأدبه وعلمه فى الصورة التى تجعله أكثر من
كتاب مدرسى مبسط . . .

ان أباشادى يستحق من أدباء هذا الجيل الذى أنشأته جماعة أبولو
أن يكتبوا عنه عشرات الدراسات فى عشرات المجلدات وأؤمن بأنهم
فاعلون ، فالى رحمة الله هو وعزاء للناطقين بالضاد .

إن الشعراء يمنحونا النور ويعطون الأفضاح لأغراضنا
الغامضة وأحزاننا المبهمة مع حد تعبير انا تول فرانس ، فما
أحوجنا اليهم فى الأزمان خاصة لترداد روحانيتنا قوة ، وهل
يمكن أن تستغنى الحروب عن المعنويات مهما عظمت الماديات ؟ !!
ابو شادى فى (أدبى)

مارس ١٩٣٦

الرجل والعصر الذى نشأ وعاش فيه

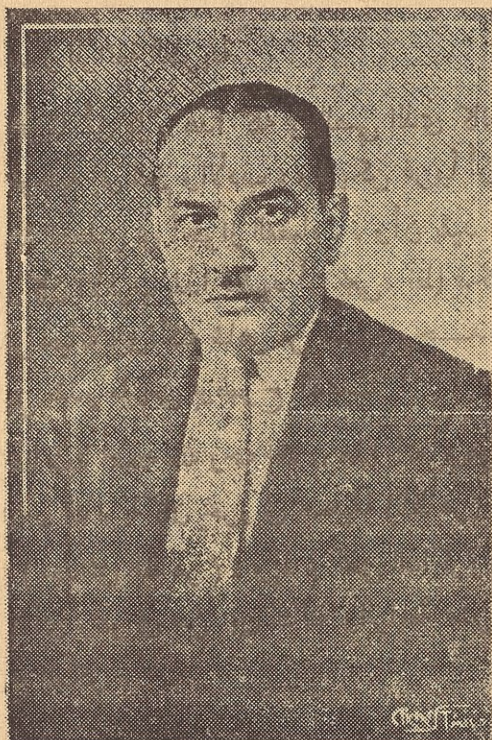
ولد أحمد زكى أبوشادى والقرن الماضى فى شيخوخته يحبو نحو نهايته، ومع هذا فقد كان لزاماً أن يضيف على نشأته شيئاً من طابعه، فقد اجتمعا مع التفاوت فى السن، أولهما فى آخر السلم تنحدر شمسهُ للمغيب، وثانيهما فى أول الدرج يتطلع لشمسه التى تشرق فوق الأفق، هذ يتو كأ على عصوين من عظة واعتبار، وذاك يشتد ساعداه ويقويان بما يناله من تجارب الحادثات التى تبدو بسرعة فى حياته وفى حياة الجيل الذى هو منه. فقد أثرت صور القرن الماضى فى حياة الكثيرين من أبناء الشرق العربى ما فى هذا من شك، ولكن كان أثرها فى أبى شادى كبيراً لأنها أثرت فى حياته وخلقه وأدبه وعلمه وشاعريته، كان محافظاً فى غير تزم، وكان حر الفكر فى غير إسفاف، وكان وقياً عفا اللسان والقلم، وكان انساناً حتى جعلته انسانيته كالشمعة يحترق لينير الطريق لسواه.

وولد بالقاهرة حاضرة البلاد مع صلات على ما يبدو تربط أهله بالريف، فكان من الضرورى أن تؤثر فيه البيئتان، وأن يكون لكل منهما الطابع الذى يصقل جانباً من نفسه، ومن أحاسيس وانفعالات هذه النفس.

وولد لأب عربي الأصل مصري المنبت ، وأم انحدرت من
دوحة لها تاريخها ، فجاء كريم العنصرين من بيتين يتصفان بالأدب والعلم ،
فكان من الضروري أن يكون لهذا في مجلته أثره في التوجيه الأول ،
وأن يكون دعامة النضوج المبكر ، بل وأن يجعل منه ذخيرة دائمة
تتوالد عبقريتها وتتكامل ، لا أن تكون بارقة طارئة تذوي وتضيع ،
وتتآلف كل هذه الصور اللامعة المتباينة الألوان فتصقل روح الشاعر
وتنظم تفكير الكاتب ، . . . وتظهر ولا أقول تصطنع . . . الفنان . . .

ولد أحمد زكي أبو شادي في التاسع من فبراير عام ١٨٩٢ للمرحوم
محمد أبو شادي (بك) المحامي من البواكير الأولين في صناعة المحاماة
الذين درسوا أصلاً في الأزهر الشريف ، وكان زميلاً لسعد طالبا وسياسياً
وعاملاً في الصفوف الأولى من أجل الوطن .

وأمه المرحومة أمينة نجيب كريمة المرحوم مصطفى نجيب الكاتب
الشاعر اللمعي ، زميل مصطفى كامل ومحمد فريد في الحزب الوطني ، وخدين
اسماعيل صبري وأحمد شوقي في المودة الأدبية والروح الشعرية ، كان
قطبا من أقطاب الوطنية الذين اعتمد عليهم الحزب الوطني في كفاحه
الأول ضد كل القوى لإثارة معنويات الشعب ، ولإحياء الوعي القومي
الذي كانت قد أيقظته الثورة العرابية قبل أعوام ، وكان كاتباً أليماً
تطالعه في (حماة الإسلام) و (أحلام الأحلام) فتجدك أمام كاتب من
أفصح كتاب عصر النهضة للكتابة العربية أيام العباسيين ، وتطالع شعره
المنبت في كتب الأدب فترى شاعرية بليغة حية لا تزال غضة ناضرة .



أبو تادى
في الأربعين من عمره

وإذا كان الرجل كطابع العصر الذى عاش فيه شغل بالوصف
والرثاء فله فى التوجيه لنبد التفرنج الأعمى والاحتفاظ بترائنا الخلقى
والتقليدى الصور الرائعة الطريفة .

فلم يكن غريباً أن يؤثر هذا كله فى الصبي الذى كانت كل البيئة
التي تحيط به توجهه إلى العلم والأدب ، ولم يكن غريباً أن يجد نفسه
من البداية ميالة للتحليل فى أجواز الفضاء . . وأن يقيد هو أحاسيس
هذه النفس ، وكان الأقرب لهذا التقييد أن يحىء نظماً فكان أبو شادى
شاعراً من فجر حياته ، ولكنه شاعر من نسيج وحده ، فهو لا يعنى
بالرنين الموسيقى بقدر ما يعنى بوضوح القصص

وأذكر هنا شيئاً سمعته منه رحمه الله .. هذا أنه وهو فى أولى سنى
دراسته بالمدارس الثانوية كان يحرر فى صحيفة (الظاهر) وأنه أعد مجلة
قصصية باسم (حدائق الظاهر) ، وإذ لم تخن الذاكرة ، أن هذا كان
فى عام ١٩٠٥ أى وهو فى سن بين الثالثة والرابعة عشر ، وكان هذا
مظهر النضوج المبكر .

وتتوالى الأيام فيخرج كتاباً وسم بعنوان (قطرة من يراع فى
الأدب والاجتماع) ثم ينشر ديوانه الأول (أنداء الفجر) .

وبعد أن أكمل دراسته الابتدائية والثانوية التحق «بمدرسة»
الطب بالقاهرة ، ويقول أبو شادى أنه كان جد شغوف بدراسة
الطب ، وليس فقط للعلم بل كفن ، وليس فى هذا أى عجب ، ذلك
لأنه عاش طوال هذه السنوات من حياته مؤمناً بفن الحياة .

ولا تمر به الحياة رتيبة ، فان هذه النفس التي تحس وتشعر وتنظم
القصيد مبكرة يحب أن تدرك معاني الحياة في بكورة مماثلة ، وعرف
صاحبنا الحب . ، وقد كان هذا الحب هو المحرك التالي في مسار
حياته ، فقد أحب إحدى قريباته وتستطيع عند دراسة أبي شادى
الشاعر أن تسير في صحبته في مختلف مراحل هذا الحب وأنت تناقش
ديوانه (زينب) لتدرك مدى هذه المحن النفسية التي أصابته .

وكانت هذه الصدمة التي أصابته بفشله في حبه الأول ولا محل
للحديث عن هذا هنا ، فان هذه المرحلة من حياته يحسن أن يتناولها
الزميل الذي سيعرض بالدراسة لشعر أبي شادى وعلى الأخص
لديوانه (زينب) .

ونصح ابو شادى بالرحلة لخارج البلاد، فزار اليونان وتركيا عام
١٩١١ ، ولكن بلا فائدة لصحته ولقلبه المحطم ، وأخيراً اضطر للرحيل
إلى لندن في ربيع عام ١٩١٢ ليكمل دراسة الطب ، وكان من الممكن
أن يعود ابو شادى بعد اعوام خمسة ، ولكن ابا شادى عاد عام ١٩٢٢
بعد غياب عن مصر طال لعشرة اعوام أو يزيد ، ولكنه لم يبد مفكراً
في بكورة نضوجه بل عاد مكافحاً من اجل الإنسانية ومن أجل المثالية
(راجع ابو شادى الشاعر — دراسة نقدية للدكتور اسماعيل احمد ادم
بالانجليزية عام ١٩٣٦) ، وكانت دراساته حتى التي عن هواية تسير
به إلى الأعماق ليتخصص فيما يدرس ، وهذا ما كان من أمره عندما
درس (الايقلاطوريا) تربية النحل العملية، درس العلم عن هواية فنجد

وتخصص حتى كانت كعبه ومقالاته عن النحل مرجعاً دراسياً
للإخصائيين والهواة على السواء . .

وكان من الضروري أن يتصل أبو شادي بالأدب الإنجليزي القديم
والمعاصر، وراح ينقل الكثير نثراً وشعراً، وأكسبته هذه الدراسة
النظرة العلمية التعميقية الصحيحة . . ، ولكن أهم ما كان لهذه
الدراسة من تأثير هو أنها طبعت روحه بالواقعية .

وفي عام ١٩٢٢ بعد غيبة لعشر سنوات كاملة عاد أبو شادي إلى
مصر مصطحباً زوجته الفاضلة التي كان لها اثر كبير في حياته، وفي
مشاركته التضحيات المالية اشباعاً لجهوده الأدبية، وكان من الضروري
أن يظل أبو شادي طليقاً يعمل في معمل خاص لأبحاثه في الطب المعملي،
ولكنه اشتغل بالمعامل الصحية موظفاً حكومياً . ، وكان مجداً بطبعه ،
فجعل لهذه المعامل طابعها العلمي الناجح، وراح ينتقل من مكان إلى مكان
يفتح المعمل الفرعي، وينظم عمله وعماله، ثم يتركه لغيره حتى رست به
السفينة إلى معمل الاسكندرية بالمستشفى الأميري حيث بقي طويلاً، وفي
كل هذا يتطور العمل . . وتتضاعف المهام والمسئوليات . . وهو كما
هو موظف في الدرجة الرابعة أو الثالثة لو كنت أريد الحبيطة حتى
لا أخطئ، التقدير، وكان هذا بتأثير طابع العصر الذي عاش فيه.

كان يقف حتى يطول به الوقوف، فان وثب، كان كل ما يناله
علاوة دورية، أما أن ينال حقاً او حتى يحظى بتذكره منسياً فلا . .
ثم لا، وكل هذا لأن الرجل كما قلت عنه مره عند حديثي عن ديوانه

(الكائن الثاني) انه جاء قبل العصر الذي كان يجب أن يجيء فيه ، .
أو تأخر عن العصر الذي كان من حسن جده لو جاء فيه .

والواقع أن العصر الذي نشأ فيه أبو شادى والذي انساق مع الايام
إلى العصر الذى عاش فيه سنين نضوج واكتمال رجولته يستحق منا
الأحاديث الطوال ، الأحاديث الطوال عن المؤثرات الأدبية التى كونت
الشاعر وأثرت فيه وتأثرت به ، ثم الأحاديث الطوال عن المؤثرات
النفسية التى هزت من هذا الكاتب الشاعر وإن كان دور الناس فى هذا
كله سيجىء عندما تنظر إلى آثاره الأدبية على التخصيص فى الأغراض
التي كانت لها .

وفتحت عيننا أبى شادى على الحياة والشعراء الفحول أمثال البارودى
وصبرى وحفى ناصف وشوق وحافظ ومطران يملأون دنيا العرب
والعربية نظماً ، يأخذون من الأدب العباسى القبس الذى يشعلون منه
الأضواء التى تنير لهم الطريق ، ونهل أبو شادى من هذه الموارد ،
ولكننا نلقى فى أولى ثمار قصيده طابع مطران فكانت سيطرة لبشت
حيناً حتى تحرر منها وكان له طابعه المميز .

فإذا قلنا إن فى شعر أبى شادى الكثير من روح أستاذه مطران
(فيه هذا الحرص على الدقة فى المعنى ، وفيه هذه الثورة الواضحة
على اللفظ والرنين الفارغ ، وفيه هذه العناية الفائقة بالناحية القصصية
التي بعثها مطران فى هذه اللغة) ، إذا قلنا هذا فمن الضروري أن ننظر
إلى الناحية التى تميز بها أبو شادى مستقلاً عن مطران ، استقل بروحه

الصوفية ، وبقلبه العالمى الكبير ، وبجبه الشامل للطبيعة وما فيها من مفاتن ومباهج .

تميز ابو شادى بنظره إلى الكائنات والظواهر الكونية نظرة واحدة فلا اختلاف بينها ، فقد ينظم قصيدة طويلة فى قطة أو دجاجة لانه ينظر اليها نظرة الفيلسوف .

وتميز ابو شادي بقصيده فى الحديث عن العلم والنظريات العلمية وديوانه (الكائن الثانى) يحوى خمسا وعشرين قصيدة توضح هذه الصورة التى تميز بها عن كل الشعراء المعاصرين

ونستطيع أن ندرك علة تأثر ابى شادي بمطران وتتلذذه على انتاجه فى فجر حياته الأدبية عندما تعرف أن الشعر العربى كان فى ركود أليم طوال القرن التاسع عشر ، إلا انه ظهرت فجأة فى النصف الثانى من ذلك القرن عبقريتان بعثتا فى هذا الشعر حياتين جديدتين ، كانت احدى هاتين العبقريتين هي عبقرية البارودى ، اما الثانية فعبقرية مطران ، اما عبقرية البارودى فقد أحيت الشعر الكلاسيكى ونفخته بخواصها موضوعاً ، وأما عبقرية مطران فقد مثلت للعروبة معنى الأدب العالمى فى طلاقة جريئة ، وعلى عبقرية مطران تتلمذ المجددون المعاصرون ، ثم نشأت مدرسة ثالثة متأثرة بأدب البارودى وروح مطران ، وهى مدرسة شوقي وصبرى التى أحبها المصريون خاصة لأنها جمعت بين الحلاوة الموسيقية التى يعبدونها وبين التجدد العصرى المعتدل الذى يستطيعون مجاراته ، ماداموا ينفرون من الركن البعيد .

وكان أبو شادى من المجددين المعاصرين بل هو فى مقدمتهم ... ،
فلم يكن غريباً أن ينشأ فى هذه المدرسة حتى تتكون له شخصيته وذاتيته
المستقلة ، فىكون وحده مدرسة ويكون أستاذ جيل جديد من الشعراء
الناهين .

وكان الطابع المصرى فى الشعر العربى يتكون فى بودقة التجارب
والأحداث ، ولست أقصد أن الشعراء المصريين قد عدلوا من الأوزان
أو الأقيسة للقصيد ، وإنما أقصد أنهم جددوا فى الصور والأخيلة ،
ووجدوا فى الحياة المصرية والآثار المصرية والأحداث المصرية
ما يستلهمون منه النظم .

وإلى جانب هؤلاء كان هناك بعض الأدباء اللامعين من الكتاب
قد اتجهوا للغرب ، وأخذوا بأسباب الترجمة ونقل تراث الغرب ، وعلى
الأخص فى الأدب القصصى وبعض دراسات العلوم الاجتماعية .

وبين هذا وذاك كان هناك نهضة فكرية يتولاهها نفر من الزلاء
المواطنين يصدر عن عدد من الدوريات الأدبية التى كانت تجمع بين
أصالة التأليف وبراعة الاختيار والنقل .

وكان من الطبيعى والناس عبيد لما يقرأون ، أن تتواجد أخلاق
وعادات ونظم متنافرة تظل كذلك حتى تستقر الأوضاع ويتشكل
الطابع المنسق فى كل شىء .

وكان العصر عصر انتقال فى الأدب والسياسة والاجتماع ، وبدأت
مدرسة القاهرة تتبلور لتأخذ طابعها الحاضر بين الناطقين بالضاد ، ولتكون

مركز التناقل في الثقافة العربية ، سيما وأن الربع الأول من هذا القرن الذي يعيش فيه كون حصيلة طيبة من الكتاب النسابيين ما في هذا من شك .

وإذا كانت حركة الطباعة أو كان مستوى المطالعة أكثر نسبياً في بعض البلاد العربية عنه في مصر ، فإن الأدباء المصريين نالوا مكانة ونالت كتاباتهم تقديراً كبيراً ، مما له أثره في الإفادة .

على أن أبا شادي خرج من فترة الانتقال هذه بطابعه الخاص المميز ، ولم تكن الكتابة صناعته التي تقوم بأوده ، وأبو شادي في الواقع نظر إلى الكتابة على أنها أسمى من أن تكون حرفة فهي رسالة ، رسالة في عنق الأديب الكاتب من حق الجيل الذي يعيش فيه والأجيال التي تلي ، بعده .

إن أبا الغلاء هو الذي حصر الدين في روح الإنصاف لجميع الناس (وكذلك فعل محي بن العربي وأمثاله من متصوفة الإسلام ومفكره الإنسانيين) ولم ير أن النفس تستطيع أن تتحكم في الغرائز الرئيسية بل هي التي تتحكم فيها .

أبو شادي في مقال (من أدب الفلسفة)

الامام سبتمبر ١٩٣٦

الشاعر الثالث

والواقع أن أبا شادى كان من الضروري وقد قدمت لك هذه البيئة الأدبية التى نشأ فيها ، وهذه العوامل النفسية التى أحاطت به ، ثم هذه الغرزمة التى بدأها صبيهاً يافعاً متأثراً من هذه وتلك ، كان من الضروري أن تتفتح أمامه آفاق الحياة وأن يقوى قلبه ويخصب إنتاجه وكان من الممكن أن يتجه أبو شادى بكلياته وجزئياته ناحية واحدة ، وكان من الممكن أن يكون أبو شادى شاعراً أو كاتباً ، أو أن يخرج من دراسته العالية حاملاً أجازة دراسية تتصل وثيقاً بالكتابة والتحرير ثم يعمل صحفياً مع الاستناد الى صناعة كالمحاماة أو تدريس الأداب ، كان هذا هو الطريق الأقرب فى الحياة .

ولكن أبنا شادى كما قلت لك كان مجموعة رجال فى رجل ، وكان له جانبه العلمى وجانبه العملى وجانبه الأدبى ، وكانت كل هذه الجوانب تدور حول نفسها بسرعة حتى لا تستطيع مهما دقت النظر أن ترقب جانباً واحداً يطل عليك ثابتاً تراه دائماً كلما تلفت من حوله باحثاً عنه تواقاً الى لقاءه ، ولعل تعدد جوانب الشخصية ... ثم تعدد نواحي الجانب الأدبى منها ، وهذه الطاقة على الاجادة فى كل هذه الجوانب الى

حد أشكر للصديق الوفي الدكتور مختار الوكيل أنه زهني إلى تسمية أبي شادي (بابت سينا القرن العشرين) وهو خليف بهذه التسمية دون ما مبالغة أو اسراف ، لعل هذا كان من عوامل انتعاب الدكتور احمد زكي أبو شادي نفسيا ، وانتعابه في حياته ، فقد أثار حفيظة محترفي صناعة الأدب ، عليه ودفعوا بعض الوثابين الدفاعيين نحوه ، ولست أدري للشر أم للخير كانت هذه في الجوانب المتعددة للرجل العبقري الذي سبق جيله

وتميز أبو شادي بأنه بجيد الصناعتين ، النثر والنظم ، وإكفنه كان اقرب بقلبه وتفكيره الى نظم القصيد ، ولهذا نوقش أبو شادي على انه شاعر ، ثم أن جل إنتاجه الأدبي كان في الشعر ونقد الشعر ، وعندي ان أبا شادي الكاتب الناصر كان اقويا كأبي شادي الشاعر برغم أن ما نشر له من النثر في كتاب خاص كان بالانجليزية لا بالعربية وبرغم أن الكثير مما سجله هو من نثره في مجموعتي (أدبي) و (الامام) كان بحوثاً قصيرة ، ولكن من الضروري أن لا يغيب عني هنا بأن أبا شادي كان يقصد هذا الإيجاز فان الكثيرين من المطالعين لاطاقة لهم بقراءة المطولات والبحوث الضافية ، ولكن هذه الدراسات القصيرة فيها إيجاز وإعجاز فهي واضحة العرض دقيقة التقديم

إن في نثر أبي شادي السطور التي تقدم من الآراء والمبادئ ما يمكن ان يعرض في صفحات ، ولكن عرضها في سطور لم يقلل من قيمتها بل في رأي أنه قد زاد من روعتها .

والشيء الآخر هو أن ابا شادى كما قلت لك كان يعد نفسه للشعر،
وكان يعمل على أن يؤدى رسالته الأدبية عن طريق نظم القصيد فجاء
أغلب نثره فى هذه التسجيلات العاجلة لآرائه أو تعليقاته على ما يقرأ،
ثم فى نقده لثمار الأفكار ولهذا فانه كان ينشر ما لم ينشره من نثره فى
مجموعته (أبولو) تحت عنوان (خواطر وسوانح) فى مجلة (أدبى) ثم فى
(الامام) وغيرها وغيرها

يقول الدكتور مختار الوكيل فى كتابه رواد الشعر الحديث فى مصر
(١٩٣٤) عن الدكتور الراحل فى ص ٥٢ / ٥٣ (وهكذا أبو شادى
لا يأتى للقشور ولا يقف عند بهرج الصناعات ولكنه ينحدر كالسيل
الجارف من قمم الجبال ، حاملا معه الرمال الدقيقة والجواهر الكريمة
وهو يكتسح كل ما يعترضه فى الطريق ثم يهبط أخيرا على أرض
لوادى فى هدوء ، شعره سيل عرم ما فى ذلك شك، فهو يتناول فيه كل
ما وسعت الحياة من معان ورموز ، وينقل على لوحته بريشته السريعة
الحركة صورة العيش السافرة والمقنعة قاطبة ، وتجيء بعض صورته لذلك
غامضة أو ناقصة الخطوط او مظلمة الألوان ولكنها تبقى بعد ذلك كله
ذات طابع خاص مستقل كل الاستقلال عن سواها من الصور التى قد
تعارض سبيلك فى حياتك الخاصة ، إن هذا الفنان يعيش عيشة يمزج فيها
بين الحقيقة والخيال ، وما شعره الا المعبر الصادق عن حياته جميعها فى
أطوارها وظروفها المختلفة ، وليس عبثا هذا الانتاج الهائل الذى تفيض
به هذه الشاعرية فى كل ظرف وفى كل مكان)

وهو (لا يحجم عن نشر كل ما ناقضت به بديته الكريمة في الصحف والمجلات والدواوين غير مفضل قصيدة على أخرى ، فكل نظمه حبيب إلى نفسه عزيز لديه) . وأنا أقول عن أبي شادي الكاتب أنه كان حسن العبارة أنيق الأسلوب مع البساطة يجيد اختيار اللفظ وتخرج العبارة منطقي البحث والدراسة ، في كلماته رصانة واتزان

وأبو شادي الكاتب يبدو هادئاً دائماً في نقده لآثار الأدياء في غير إسراف في المديح والإطراء ، ويوجه ولا يوجع ، ويرشد في غير إيلاام فان فعل لم يترك الجروح دون التئام .

تجىء كتاباته دائماً في سلسلة متصلة من الآراء والمبادئ ، ولعله قد اكتسب هذا من دراسته العلمية ومن بحوثه العملية ، فلا تجىء فيها فقرات مبهمة المعنى غير محدودة الهدف

وهو سريع الكتابة سرعته في نظم القصيد ، وكان سريع الهضم لما يقرأ ، ولكنه لم يكن يفعل ما يفعله حتى اليوم بعض المتصدرين زعامة الأدب من أن ينسبوا ما يعيدون عرضه لأنفسهم على أنه من وهى أعلامهم ، فأبو شادي لم يكن ليتردد أن ينسب الفضل لذويه ، ويقرن الرأي والبحث باسم صاحبه والمرجع الذي وجد فيه .

وهو واقعى فيما يكتب ، ولا يتردد في المجاهرة برأيه ثم الدفاع عنه ، دون أن يمل الكتابة أو يتراجع عما آمن به ذلك لأنه لا يكتب أصلاً إلا عن عقيدة وبعد إعمال الفكر

وأبو شادي واسع الصدر هادئ النفس إلا إذا كان البحث الذي

يكتبه يتصل من قريب أو بعيد بحرية الفكر في صورة ما ، فانه يبدو
إذ ذاك كالبحر المضطرب أو البركان الهائج

ولكنه لا ينحدر من قمة الجبل الى السهل المنبسط فيفقد في انحداره
الكثير من حدته بل يظل يغلي كالمرجل يقذف بالحمم دون أن يسف ،
والغريب أن قلمه لم يعرف السقطات التي عرفها الكثيرون من كتاب الثلث
الأول من هذا القرن فهو لم يسف ولم يعرف أدب القذف قط
وقد عرض أبو شادي لكل الألوان في كتاباته بالعربية والانجليزية ،
وان كان لم يحظ في الأولى كما حظى به في الثانية من تقدير الكتاب
العالمين .

وكان أبو شادي يعتز بنثره اعزازه بشعره ، ولهذا أخرج مجلة (أدبي)
التي أوقفها على نشر ما يكتب إلا فيما ندر من بحوث كتبها أصدقاء القلم
والروح ووجدها تستحق النشر للعرض .

ولم يكن أقوى من أبي شادي عندما يتحدث عن قداسة الفكر
لأنه كان يحس بأن هذا واجبه لذاتيته قبل أن يكون ذاتية الفكر نفسه ،
فقد كان أبو شادي يحارب من أجل الفكر في معركة تألبت فيها قوى
كبيرة ضده

وكان الذي يضيق به هو أنه إن كانت الحرية الفكرية مقدسة في
كل عصر من العصور فانها أشد قداسة في عصر الديمقراطية الصحيحة
التي كفها الدستور بنص صريح ، ولا يجوز محاربة الرأي العلمي إلا

رأى علمى مثله أكثر دقة وأعمق بحثاً وأقرب الى الصواب والمنطق ،
وإلا كان معنى هذا قتل النهضة الفكرية فى المهد ومحاربته للذاتية
الانسانية التى يجب أن تعاون لا أن تحارب، وأن تناصر لا أن تقاوم .
ومعركة (الفكر الحر) معركة قديمة خاضها العلماء والمفكرون منذ
أيام سقراط . حتى أيام فولتير وتولستوى وجان جاك روسو

ولست أقول أن الدكتور زكى أبو شادى كان أكثر من واحد
على الطريق ، واحد من عشرات بل المئات الذين كافحوا من أجل حرية
الفكر الادبى والعلمى ، ولهذا لم يكن غريباً بالنسبة إليه... أن ينال بعض
ماناله الذين سبقوه فى هذا الدرب بالرغم من تفاوت الأسلحة فى الكيد لهم
والكيد له .

وقد لا يكون الإيلام فى هذا الفذى واجهه واحتمله حتى ضاق
أحياناً باحتماله ، ولكن الإيلام كان فى الواقع فى أن طابع العصر كان
من الضرورى أن يتحرر من صور الماضى وسيئاته .

بين القومية والإنسانية

وللتحرر الفكرى عند أبى شادى مظهر واضح فى نقاشه للأمريين
القومية والانسانية ، وليس غريباً أنه كان ينظر إلى (القومية) على أنها
خير وشر . خير عند ما تنبجه إلى التضحية من أجل المجتمع . ، ولكنها
سرعان ما تكون شراً عندما تتجاوز الحدود المعقولة لتكون تكتلاً من
الفردية الانعزالية .

وكانت المثالية السياسية عنده تكن في إعطاف فكرة الحكومة العالمية مع تبادل الثروة بين الأمم على أن يتولى السيطرة على اتجاهات الانسانية كلها نفر من الاختصاصيين في جهاز إدارى عالمى ، وهى أراء قد تكون مثالية .. وقد تخيلها المؤرخ الانجليزى ه . ج . ويلز ولكن الذى يعنى هنا هو أن أباشادى كان ينظر الى الأمر فى ضوء اختباره فى (ملكمة النحل)

ومن الواضح أن أباشادى ديمقراطى بقلبه ومشاعره، ولكنه إذا كان قد رأى خيرا فى الديكتاتورية بالنسبة لاطاليا والمانيا ،فانه كان لايرضى عن الديكتاتورية المعتدية التى ترمى الى تدمير فكرة التعاون الدولى .

وقد أوقف أبو شادى الكثير من إنتاجه الثرى والشعرى لمعاونة هذه المحاولات التى رمت الى إزالة الأثرة من نفوس الأفراد ، والى رفع هذه الحدود الصناعية بين الأمم ..، كان أبو شادى فى مثاليته يدعو الى فكرة التعاون العالمى بين الأفراد والأمم .

لقد كانت روح الانسانية هى التى جعلته يعجب باخناتون وينظم أوبرا فى امتداح حياته ومبادئه ، هذه المبادئ التى رمت الى حب مجموعات البشر لبعضها البعض ، وقد كانت هذه المبادئ فى هذا التاريخ المبكر تعتبر ظاهرة فكرية لها مكانتها فى تقدير الإعجاب بهذا الرجل .

ولهذا فمن حق أبى شادى اليوم أن يدرس أده حتى تتضح عبقريته،

صحيح أن أبا شادى بوفاته قد بات في ذمة التاريخ ، ولكن انتاجه الأدبى من حق الناطقين بالضاد ، ولهذا فمن واجبه اليوم أن يضعوه في ميزان النقد في أمانة ونزاهة ، فقد انتهى الرجل ... ولكن انتاجه لم يوارى التراب معه ولن يوارى بعد وفاته فقد بات هذا الإنتاج أمانة في عنق الجيل الذى أبرزه والأجيال التى جاءت وستجىء بعده .

وأبو شادى في نثره متعدد الصور ، وهو ليس بأقل من أبى شادى الشاعر في تعدد الألوان التى يعطيها انتاجه ، وأشعر بأنه من واجبي أن أقدم في هذه العجالة من الحديث عنه بعض الصور التى كان يحلو مطالعة رسومة فيها وهى .

* صورة المؤمن المتصوف

* صورة أستاذ الجيل الذى نسى نفسه وذكر طلبته

* صورة الناقد العف اللسان والقلم .

وقد يبدو لي بأنه في هذه الصفحات من الحديث عن أستاذ جيل يجب أن نبدأ بصورة (الناقد) التزيه العف اللسان والقلم ، ومع هذا فأننى أبدأ جولتي وإياك بالحديث عن المؤمن المتصوف

أبو شادى المؤمن المتصوف

ويحاول دائماً مناقشة آراء أبو شادى فى التصوف وكلما تعمقت فى دراستها كلما أزدت ثقة بإيمان الرجل ، هذا الإيمان الذى كان دائماً مثار ما وجه اليه من حملات عنيفة من بعض الذين دفعوا دفعاً من بعض أعلام الأدب مع الأسف لمهاجمته ، فضلاً عما كان ينشره هؤلاء وغيرهم فى غير جرأة غفلا من الامضاء للتشكيك بالرجل وقصيده ونثره

كان أبو شادى متصوفاً واسع الإيمان راسخ العقيدة ، ولكن أباشادى كان طبيباً ودراسة الطب من أهم الدراسات التى تؤدى حتماً إلى صراع بين الدين والعلم ، صراع ميدانه عقل الطبيب ، والعادة أنه يحاول دائماً أن يوفق بين العلم والدين ، ولكن محاولة التوفيق هذه لا تتم إلا إذا كان الإيمان قويا ، لأن ضعف الإيمان الفطرى يؤدى حتماً إلى زعزعة العقيدة أمام فلسفة العلم .. وهنا نلقى فى أبو شادى صورة فذة فلقد كان أبو شادى متصوفاً ، وتكشف دراساته لا يوضح الصراع بين العلم والدين عن هذا (التصوف) وعن مذهبه فى (الإلهيات) .

على أننى لا أستطيع أن أقول بأن تصوف أبى شادى كان مماثلاً
 فى انتاجه الشعرى إلى ما قدمه فيكتور هو جوفى (الله والشيطان) ولا
 إلى ما قدمه الشاعر التركى عبد الحق حامد فى كتابه Machber And obu
 فان تصوف أبى شادى لم يكن محمداً اللهم إلا فى اعتباره العالم كله
 وحدة كهرائية فنية واحدة ترتبط بها بالطبيعة ، وأبو شادى المتصوف
 يوضح هذا الارتباط فى قصيدته (العطف الآلهى) فيقول .

وأحس أنى فى اندماج دائم
 بالكون ، والكون العظيم حياتى
 أتأمل الساعات فى أجرامه
 وكأننى متأمل مرآتى
 وأنال عطفاً من جميل حنانه
 يسرى إلى روحى بغير فوات
 حس خفى لست أدرك كنهه
 وكأنما هو معجز الآيات

كان أبو شادى العالم يقوم بعبادته الصوفية واستغراقه فى معانى
 الألوهية عن طريق شغفه بعلم الفلك وتردده على المراسد ، هذا التردد
 الذى كان يبعث فى نفسه التأمل والتفسير لا عن تصنع بل عن استعداد
 وجدانى ، التأمل فى الكون التفسير وواسع علم الله ، وقدرته سبحانه
 وتعالى ، وهذا التأمل الصوفى هو الذى نعتة الغزالي بالنظر إلى وجه الله

يقول أبو شادى فى كتابه (عقيدة الألوهية) .

« إن صفات الله المكشوفة لنا ليست جميع صفاته تعالى يل لعلها لا تتعدى صفات العوامل الكونية الضابطة للوجود باعتبار هذا الوجود كائنا دوريا ، ومظاهر الطبيعة جميعها وحقائقها متمشية مع تلك الصفات أو العوامل . والطريق العلمى الممهد لتعريف الألوهية هو الطريق السيكلوجى لانه حقيقة واقعة فطرية ليست بأى حال نتيجة الوهم أو الجهل ، وأعنى به إحساس الجزء بالكل واجتذابه إليه . ولعل هذه الظاهرة ، ظاهرة الإحساس بالألوهة ، هى التى أوحى إلى الجنرال أسمطس مذهب فلسفة (الكل) الذى يفسر ما يسميه العلماء بالتطور الإبداعى أو التطور الفجائى فى الوجود مما يتعارض مع نظرية الميكانيكية البحتة فى الطبيعة ، وعنده أن العالم بأسره مدفوع بطبعه إلى الانحراف عن الميكانيكية البحتة . ومتجه نحو تكوين (الكل) ، وهذا هو المثل الأعلى الذى يسعى العالم بأسره إلى تحقيقه . وتحقيقه تحقق منه غايته ، وإذا كان هذا الاتجاه نحو تكوين (الكل) أمرا مشاهدا فى جميع أنحاء الكون على اعتبار أن فى طبيعة الاشياء نزعة متجهة على الدوام نحو تكوين هيئات منتظمة يسمى كل واحدة منها (كلا) فلعله مما يقنع بعض الماديين بهذه الجاذبية الطبيعية التى أشرت إليها والتى أعدها رمز الإحساس بالألوهة ولذة الأنس بالله التى لا تعادلها لذة ، كما يقول حجة الاسلام الغزالى بعد تصوفه » .

لقد كان أبو شادى ينظر الى محاولات الكثيرين للتوفيق بين العلم والدين على أنها محاولات تبذل فيها أساليب تعسفية تقوم على كبت التفكير والاستقرار والدراسة ، وأن الصحيح هو محاولة هذا على أساس دراسة النفس ومشاعرها واتجاهاتها الأصلية فيها .

ثم يقول أبو شادى

« وإني أكرر لحضراتكم أيها السادة أن الشعور بالألوهية في اعتباري ليس مسألة خوف أو جهل على ما يرى بعض المفكرين الغربيين ، بل هو مسألة فطرية سيكولوجية مبعثها إحساس الجزء بالكل ، وهل نحن في المعنى التصوفي إلا أبناء الله ؟ ولولا هذا الإحساس لما قال الحلاج كلمته المشهورة التي أودت بحياته ، لأن بيئته لم تفهمها فأساءت تأويلها وجنت عليه شر جنابة »

« أما عقيدة الألوهية الخاطئة في بعض الأديان فقد تكون ناجمة من خوف أو جهل ، ولكن لاشأن لي بمثل ذلك ، إذ أننى أتكلم عن الإحساس الأصيل لاعتقاد التقليد الموروث . »

« ويطيب لى تكرار الإشارة في حديثي ومحاضراتي الفلسفية الدينية إلى آية الكرسي المعدودة من جواهر القرآن الشريف ، فإن هذه الآية الكريمة في نظري مفتاح التصوف الاسلامي وباب الالهة الحقة ولو أن الاسلام تقليديا معدود بمعزل عن التصوف . ولكن هذه الآية تملأني إحساساً بوحدة الوجود ، واعتقاداً تاماً بأن الاسلام لا يفصل بين الله والعالم كما تفعل بعض الأديان وقد كان نبينا عليه الصلاة

والسلام يتكشف ويتصوف معتزلاً في جبل حراء عابداً الله في ملكوته
فعقيدة الألوهة في ضوء الإسلام لا تخالف العلم السليم ولا الإحساس
النفساني النقي ، وهي بعيدة كل البعد عن الخوف أو الخرافة أو الجهل لأنها
تقوم على ركنين أولهما الإحساس الصوفي الفطري . إحساس الجزء
بالكل وثنائهما وحدة الوجود التي تشع عليها آية الكرسي فعظمرها لنا
يكل وضوح . ومن الآيات القرآنية التي ينبع منها التصوف قوله تعالى
فأينما تولوا فثم وجه الله (سورة البقرة آية ١١٥) وقوله : « وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني (سورة البقرة
آية ١٨٦) وقوله « الله نور السموات والأرض » (سورة النور
آية ٣٥) »

وينتهي أبو شادي إلى أن النفس البشرية لا تستطيع أن تتخلى عن
عقيدة الألوهة ، وإنه إذا تحولت هذه العقيدة تحت تأثير الحيرة أو
الضغط الاجتماعي فإن هذا التحول يكون موقوتاً ، ولا تلبث النفس
البشرية أن تعود إلى الإيمان والعقيدة الطبيعية فيها .

واطمئنان النفس واستقرارها في هدوء يبعثه الإيمان وثبات العقيدة
ولا يغفل أبو شادي المتصوف عن إيضاح أهمية الإحساس بوجود
الله .. على أساس إحساس الجزء بالكل والانبجذاب إليه

وهنا تبدو صورة أبي شادي المتصوف وهو يناقش آراء بريجل
باتيسون أستاذ الفلسفة لعهد طويل في جامعة أدنبره وصاحب كتاب
(فكرة الله في ضوء الفلسفة الحديثة) ، يناقش آراء باتيسون في فلسفة

إثبات الوجود لله على أساس منطق أن وجود الشيء دليل على وجود صانع له ، فأبو شاذى يرى أن وجود الله إيمان فطرى لا يحتاج للتدليل عليه الى منطق .

ثم تبدو قوة أبى شاذى الصوفية عند الحديث عن صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو يرى أن صفات الله المكشوفة لنا ليست كل شيء لأن صفات الله أكبر وأعظم من أن يحصيها لسان أو أن تحصى على عقل إنسان

والحديث عن « عقيدة الألوهية » فى تصوف أبى شاذى يتطلب منى فى الواقع بحثا (لمذهبه) أو بمعنى أصح أوضح لآرائه فى الارتباط بين العلم والدين ، وعلى الأخص من ناحية انتفاعه هو بالعلم فى تفهم الدين ومطالعة القرآن الكريم ومراجعة أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وأذكر نقاشا دار بينى وبين راباى نيوزيلندى من علماء اليهود كان فى مصر إبان الحرب العالمية الثانية ، وكان النقاش حول عمر الأرض وعمر الحياة التى كانت على سطح الكرة الأرضية فى هذا التقسيم الذى يقسمه العلماء إلى العصور الميوسينى والبليوسينى والبليستوسينى قبل أن يصلوا إلى العصر النيولوسيكى والتى تسبق كلها عصر التاريخ المسجل بمليون عام ، مع أن كل العصر التاريخى المسطور لا يزيد عن خمسة آلاف عام .

وكان الرجل يضع تنظيما غريبا جاء به من سفر التكوين فى التوراه ، ويضم تواريخ الأنبياء وما جاء عن أعمارهم وأن آدم عاش ألف سنة ، ونوح أو على ما ينطقه هو (بضم النون وتشديد الواو بالفتح

وسكون الحاء) عاش تسعمائة وخمسين سنة ، وهكذا ثم يصل بالجملة إلى ما قبل عن دورة واحدة من الحياة على ما يقول العلماء طبقاً للحفريات ولا آثار الحياة التي يجمعونها من مناطق الإقامة التي عرفها الناس منذ أقدم العصور ، ثم غابوا عنها عندما تطورت صور الحياة البدائية إلى هذه الصورة الحضرية التي نعيش فيها اليوم

وأحاديث العلماء لا تقبل الجدل أو الشك لأن أدلتها قائمة ملموسة ، وقد طال النقاش وكان رجل الدين الموسوي مع ثقته بدراسته الجامعية العلمية إلى جانب دراسته الدينية غير موفق لأنه كان صليبا جامداً ، يظن أن هذا الجحود هو دليل إيمانه ، وكان يحاول أن يدعم قضيته بافتراضات لا حقائق ثابتة لها .

و كنت أناقش الرجل على أننا يجب أن ننظر إلى ما أدر كنا من معرفة هي نتيجة دروس العلماء وبحوثهم ، على أنها في الواقع ذات جانبيين يكملان بعضهما بعضاً فهناك نظريات لبعضها طوابع افتراضية تثبت بعضها بعضاً ، وهذه النظريات توجد الأصول والقواعد التي توصلنا إلى ما له ماديات وكيان ووجود ، وعلى هذا الأساس نحل الكثير من مسائل الهندسة ومعادلات الجبر مثلاً ، ولكن هناك الجانب الأهم وهو الحقائق الثابتة ، ونحن عندما نتحدث عن جاذبية الأرض تبعاً لسقوط الأشياء نحوها مهما ارتفعت دون أن تخرج من نطاق هذه الجاذبية ما لم تكن هناك قوى محرّكة دافعة تحول دون هذا السقوط ، أو عندما نتحدث عن دوران الأرض حول الشمس ، وأن هذا الدوران الدائم

المستمر ولمدة أربع وعشرين ساعة هي التي قسم اليها اليوم إنما هو الذي يوجد الليل والنهار على التبادل بين نصفى الكرة الارضية الطولين ، أو عندما نتحدث عن الخسوف والكسوف والمد والجزر وما إلى هذا فإننا نتحدث عن حقائق هذه الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل التبدل أو التغيير هي التي نستخدمها في التوفيق بين العلم والدين .

وهكذا فعل أبو شادى يقول في كتابه « مذهبي »
« ولذلك جعلت مذهبي في تفهم القرآن الشريف أن أفسر كل ما لا يتفق في ظاهره وحقائق العلم الراسخة تفسيراً مجازياً ، وأن أعتبر النقليات بمثابة رموز ، ولذلك أعتقد أنى وفقت توفيقاً أحمد الله عليه إلى تذوق جمال القرآن الشريف تذوقاً تاماً يتلاءم مع ثقافتى العلمية

وغير خاف عن حضراتكم ان النزعة الحديثة بين المتعلمين والجامعيين خاصة هي نزعة لادينية، وقل بينهم من يأخذ الدين على علاته كما يقدمه النقليون المحافظون ، اما خظتى فهي التوفيق التام بين الدين وحقائق العلم الراسخة من ناحية تفسير القرآن الحكيم . وأما عن الأحاديث فأنى أرفض رفضاً باتاً كل حديث يناقض العلم الثابت لأنى لا أتصور صدوره عن صاحب الرسالة العظمى التى خلقت من الانسانية أمة واحدة في مشاعرها وإن تعددت قومياتها »

وينقلت أبو شادى المسلم من إيضاح (مذهبه) ، إلى الحديث عن عظمة الإسلام والكشف عن المرونة التى تمكنه من مسابقة تطورات

المجتمع الأكبر ، مجتمع العالم كله ، (ولولا ذلك لما صلب لشتى الامم في شتى العصور ، ولما أنجب أمثال الكندي والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن باجة وابن طفيل ، وابن رشد وابن خلدون وابن الهيثم ، ومحيي الدين العربي وابن مسكويه ، وجلال الدين الرومي .. وغيرهم كثيرين من الفلاسفة والمفكرين)

ولقد صدق أبو شادي فان مبادئ الاسلام السمحة ، ممتزجة بالروح العلمية كفيلا بأن تعطى للانسانية جمعاء ديانة شاملة حتى لمن لا يعتقدون في الاسلام اعتقاداً دينياً صرفاً .

إن الاسلام بتعاليمه يمكن أن يوجد التآلف وتوحيد الصفوف في صورة « العالمية » التي يحلم بها الناس اليوم ، وكل ما يحاول الغربيون من عقد مؤتمرات أو اجتماعات أو معارض وما إليها لجمع مختلف الشعوب في صعيد واحد لإزالة عوامل الفرقة .

كل هذه المحاولات ، وكل ما تفتقت عنه أذهانهم وان لم يؤمنوا به كحديث (الحرية والاخاء والمساواة) كل هذا الذي حشد له العقل البشري في أكثر من ثلاثة عشر قرناً منذ هجرة الرسول من مكة الى المدينة ، كل هذا جاء به الاسلام منذ اللحظة الأولى ، فقط ، يجب أن يتمشى العلم الى جانب الدين كالساعد الايمن له وأن تخلص نوايا رجال العلم ويصبح اسلام العلماء والمتعلمين ..

أستاذ جيل

وكان من الضروري أن يكون أبو شادي أستاذ جيل خاص من الأدباء الشبان ، فقد كان طابع العصر ككل عصر سبقه أن ينظر البادئون على الدرب إلى أولئك الذين قطعوا مرحلة كبيرة من الطريق على أنه تتوافر لهم التجربة والدراية ، وأنهم يستطيعون التوجيه والارشاد ، فكان لكل من الأعلام الأولين مدرسة ، وكان من الضروري أن تكون لأبي شادي مدرسته ، مدرسة من الشعراء والكتاب الشبان ممن تربطه بهم صفحات (أبولو) و (الامام) والذين كان أبو شادي يفسح لهم الطريق ويمهد لهم كل السبل ليتقدموا الصفوف وليصلوا إلى المقدمة . . .

لقد كان أبو شادي الأديب لا يعرف الأنانية الفردية التي تلحق عادة بمن يصلون إلى القمة، لأنهم يرون أنفسهم وحدهم ونتاجهم وحده ثم لا شيء ، وكان العالم قد أجذب وكان الدنيا قد أصابها العقم ، ولكن أبا شادي كان يعتز بكفايات أفراد مدرسة أبولو وغيرهم من الأدباء الشبان اعترازه بانتاجه ، بل كان يقدم نشر ما يكتبون على نشر ما يكتبه هو ، وكان ينشر مجلة الامام تطبعها مطبعته التعاون ويتولى

تحريرها الأستاذ السحرتى المحامى ، و كان أبو شادى يحتمل العبء
المادى كله مقتطعا اياه من قوته وقوت أولاده ، و كان من الممكن أن
نعفهم هذا على أساس أن أبا شادى يجد فيها ميدانا لنشر جانب من انتاجه
الأدبى الكثير ، و لكن أبا شادى كان يقدم ما يبعث به اليه مراسلوه
حتى لقد يصدر العدد الشهرى دون أن يكون له فيه سطر ، و كان
لا يتوانى عن تقديم كتاب (أبولو) راضيا بالوقوف فى الصورة الخلفية ،
فقد كان يشعر بأن نجاحهم نجاحا له ، و كان يرى فى تقديمهم نصراً
للأدب الحر وللأدباء المتحررين

لقد آمن بشباب الكتاب والشعراء و حمل علم كفاحهم ضد المحترفين
من شيوخ الأدب عازفا عن قوافل الأدباء المداحين الذين عاشوا يسكبون
عصير ثمار أفكارهم على هياكل شيوخ الكتاب .

و كانت عينا أبى شادى النقادتين فى التقاط آثار المركبات أو
الجرائم فى معمله الطبى لا تتركه عندما يقف أمام آلة الطباعة وصناديق
صف الحروف ، ولا تهجرانه عندما يناقش قصائد الشعراء ومقالات
الكتاب التى تصله مع البريد ، ولا تلك التى يلقاها من ثمار أقلام أولئك
الذين تضيق بهم الغرف الباهتة الضوء فى الطابق الأرضى للمنزل القديم
المتداعى الذى يحتل ركن شارع (عمر شاه) بحى السيدة زينب .

كانت عينا أبى شادى توضحان له الفرائد والقلائد التى تجيء مبعثرة
وسط شتى المواد ومن شتى الموارد . . .

و أبو شادى كالجوهري الأمين ينظم الأحجار الكريمة وينصح

عميله بما يأخذ وما يترك ، وما يرعى وما يصحح أو يستبدل ، فكان أبو شادى يوجه فى غير عنف . . ويرشد فى غير قسوة . . ، وكان فى تشجيعه يستخدم أسلوبا له طابع التوجيه المرغم

وأذكر أنه فى حديثه عن كتابى (المتنبى) الذى نشر بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة المتنبى قال (وقد أغتبطت بقراءة كتابه هذا لما فيه من سهولة جذابة مأشك فى أن لها وقعها الجميل فى نفوس الطلبة والمتأدبين عامة ، وهذه الصفة البارزة لديباجته ولتناوله الدراسى لمحتما من قبل فى كتابه (شعراؤنا الضباط) الذى نال من التفات القراء ما يغبط عليه بالنسبة لأمثاله من التأليف الأدبية فى مصر ، ولاحظت بسرور اعتماد المؤلف على مراجع شتى فى كتاباته حتى ليعد كتابه زبدة سهلة الهضم لمطالعات كثيرة وخلاصة مدرسية ممتعة . . الخ) ، قال هذا ونشره فى المجلد الأول من (أدبى) إبريل — يونيو ١٩٣٦) (الأعداد ٤ — ٦) ص ١٦٠ : ولكنه كان من الضرورى أن يكون أمينا فى توجيه شاب من جماعة أبولو فقال قبل سطور (ليس المتنبى بالمجهول فى البيئات المدرسية ولكنه غير مستوعب وسبب ذلك قلة التيسير فى عرض سيرته وشخصيته وأدبه على الطلبة ، فأخرج كتاب يسد هذه الثغرة عمل مجيد بلا شك ، ولا أعرف أكفأ من ثلاثة أدباء للقيام بهذه المهمة وأعنى بهم — مع احترام الألقاب — طه حسين واحمد الشايب وعبد الفتاح ابراهيم فأما عن طه والشايب فتقديرى إياهما معروف لحلاوة بيانها الكلامى ، وأما عن عبد الفتاح ابراهيم فأحب أن

أقول إن لهذا الضابط الأديب الشاب مستقبلاً مشرقاً كمؤلف محدث بشرط أن يعنى بتنسيق كتابته وضميط قلمه ومحاسبة نفسه حساباً عسيراً على صحة عباراته ، وهو فاعل ذلك إن شاء الله

ولقد آثرت أن أقدم هنا حديث الصديق الوفي عن كتاب لي من مؤلفات فجر حياتي الأدبية لكي أنصف الرجل الذي له في عنقي دين واجب الاداء ، بل لأدلل على كياسة هذا الرجل الذي كانوا يهاجمونه بعنف وقسوة . بل وعلى حين غرة لأنه منافس قوى له قيمته الأدبية ، وقد كانت الحياة الأدبية في مصر في ذلك الوقت تعبت بها أنانية بعض الأعلام من شيوخ الأدب ، وكان أبو شادى أبعد الناس عن الوقعة والدس ، وحتى عندما بدا أن بعض من يلتفتون حوله كانوا حرباعليه ، بقي ينظر اليهم وإلى من يوجهونهم نظرة سمحة طيبة لأنه إنسان ولأن إنسانيته لا تعرف الحصومة في غير ميدان الأدب فكيف تعرفه في الأدب ترجمان العاطفة ووحى مشاعر النفس وأحاسيسها !!!

كان أبو شادى لا ينظر إلى الجيل الذي احتمل مسئولية توجيهه على أن هذه المسئولية قاصرة على التوجيه الأدبي ، بل كان يرى أهمية التوجيه الأخلاقي ... ولهذا كان دائماً المثل الحسن في كل شيء ، بل ولهذا ايضاً كان أبو شادى عف اللسان والقلم ، وبالرغم من الثورة التي قد تحسها تغلي في قلبه كالرجل وهو يقاتل مدافعاً عن حرية الفكر ، ناقداً رأياً أو حديثاً في الرجعية الأدبية ، فانك تلقى أسلوبه منطقياً هادئاً ، وكلماته لا قسوة فيها ولا عنف حتى ليمتخاله يحاسب نفسه على

ما يكتبه وانه يراجع ما يخطه في هذا النقد المرة بعد الأخرى قبل أن يقدمه لعامل صف الحروف .

وهو حقاً رحمه الله كان كذلك ، كان يراجع ما يكتب ، ومع كثرة انتاجه كان يعنى بمراجعته وبتقييمه لتسهيل قراءته وحتى لا يضطرب تفهم أهدافه وأغراضه هذا من جهة . . . ولكن من جهة أخرى ، بل لعلمها هي الأهم في تقديره ، وهو أنه كان يعمل دائماً على مراجعة الفاظه ليتخلو من كل ما يعتبر عنيفاً قاسياً .

لقد كما أبو شاذى كما قلت استاذ جليل وكان يرى بأنه من واجبه دائماً أن يكون مثلاً حسناً . . . وكان هذا الخلق الكريم عن طبيعته لا عن تصنع

كان أبو شاذى انساناً ، وكانت انسانيته هي التي لم تجنبه الصواب عندما بدأ في صورة الناقد المتحرر .

وهذه حالة لم تعهدها في مصر ، ولا منذ ربع قرن مضى ،
وقد قرأنا الفصول الممتعة للإمامين الجليلين المغفور لهما محمد عبده
والشيخ محمد رشيد رضا في الرد على الدهريين ، ولم نسمع أن
أحدهما طالب مرة بمصادرة كتاب أو بحث حر التفكير .
أبو شاذى في مقال (من أدب الدين)

الامام سبتمبر ١٩٣٦

الناقد المتحرر

وصورة الناقد المتحرر العف اللسان واليد هي أبرز الصور في حياة الكاتب ، وهي صورة لا بد وأن تسترعى انتباه من يتجول في ثمار قلمه ، على أن علة اهتمامي بها وبتقديمها ، ليست من ناحية « النقد » في وجهة عامة وحسب ، بل من ناحية صلة هذا باستاذية أبي شادى لهذا الجيل الذى كونته مدرسة ابولو من الكتاب والشعراء الشبان الذين جمعت عقدهم صفحات (ابولو) و (الامام) لسنوات طوال .

وأبو شادى كناقد فى الحقيقة كان حر الرأى واسع الصدر، عف اللسان والقلم لم يشتد فى نقاش ، ولم ينظر إلى انتاج غيره من الأدباء سواء أكانوا من الأعلام أو من المكافحين المبتدئين على الدرب إلا على أساس أنه ثمار أفكار قد أجهد أصحابها أنفسهم فيها ، وأنها من أجل هذا يجب أن تقدر .

لقد كان أبو شادى من نسيج وحده ولهذا برغم فوضى النقد الأدبى فى مصر فى مطلع الثلاث الثانى من القرن العشرين كان نقد أبى شادى واضح الأثر فى السمو بالانتاج الادبى .
والواقع أن أبا شادى كان حريصاً على كرامة المؤلفين من غطسة

النقاد السطحيين ، كحرصه الدائم على كرامة النقاد الناضجين من غرور المؤلفين حتى أنه لم يتوان مرة عن العمل على صيانة الاحترام المتبادل بين المؤلفين والنقاد المثقفين على السواء

وإذا كانت هذه الخطوة المستقلة قد جلبت على أبي شادى في الوقت ذاته عداوات لم يتورع بعض أصحابها عن الاختلاق والدس بصورة مضحكة لولا أنها محزنة ، فإن كل ما كان يضيق به أبو شادى هو النقد المزيف الذى يقوم به نفر من الذين يقعد بهم العجز عن اللحاق بالقادرين فيقفون حيث هم يلمزون هذا ويتنادرون على ذاك ، ولأبي شادى رأى في هذا ، رأى ساهم به في النقاش الذى دار في مجلة (الرسالة) بين الادباء الافضل احمد حسن الزيات واحمد أمين وطه حسين في عام ١٩٣٦ حول معركة النقد الادبى، يقول أبو شادى

« ولست أرى علاجاً حاسماً للنقد المزيف إلا بتشجيع النقاد الزهين الناضجين ، وبشهر التربية النقدية الصحيحة بحيث يفهم الناقد أن رحابة الصدر واجبة عليه كما أنها واجبة على كل أديب منقود وليست مطلوبة من الاخير وحده ، ويتبادل الاحترام بين المؤلفين والنقاد ، ويتضامن الادباء في محيط مدارسهم الفكرية تضامناً قوياً تسنده متانة الاخلاق وبترفع أصحاب المجلات والصحف عن الاستجابة إلى ملق الناقلين العاجزين وإلى صيحات الجماهير ، وبالتسامح في النقد عن الأهواء والأحقاد فلا يسمح بالديسيسة ولا بالكلمة الوضيعة للمزورين ، ولا يسمح بالمغالطات والتغالي الممقوت للهوائيين المغرضين. »

وهذا الحديث عن الأصول التي رسمها أبو شادى للنقد الأدبي تتطلب
منى أن أقف بك بأزاء بعض أحاديثه في النقد

ولننسك مثلاً (بديوان الاسكندرية) الديوان الذي أخرجه وكتب
مقدمته الشاعر على محمد البحراوى ، وقدم فيه مختارات لثلاثة عشر شاعراً
من شعراء الاسكندرية ، وهى مختارات قال عنها أبو شادى « ولئن ألقى
(يقصد البحراوى) مسئولية الاختيار على الشعراء أنفسهم إلا فى حالة
الشاعر شكرى مكتفياً بحظ التنويه بآثارهم ، فلا نزاع فى أنه لا يمكنه
التحرر التام عن مسئولية الاختيار وهى مسئولية صالحة ، فقد جمع هذا
الديوان الكثير من الشعر الجيد الذى يغفر إلى جانبه ما فيه من نظم
مألوف وإسفاف » .

وأنا فى الحقيقة عندما عرضت لأبى شادى الناقد انما استهدفت
الآراء الاصيله العامة التى تجىء فى سياق نقده وأنصت له وهو يتحدث
عن أهمية الشخصية الفنية ، وعن خطورة مرض المحاكاة والتقليد

يقول أبو شادى فى سياق نقده للديوان ولقد رأيت أننى لم ابرىء
هذا الديوان من إسفاف ومن تفاهة فى مواضع ، ولكنه إلى جانب
ذلك يجمع الكثير من الحسنات ما بين موروثة ومبتكرة ، والاخيرة هى
التي تعينى فالفن قبل الانسان لا يجوز أن يعيش على تراث الموتى وحدهم
بل يجب أن يجد له ذخيرة عظيمة من ذاتيته ويجب أن يكون خلاقاً

(ان ملكات العاطفة والخيال والفكر والموسيقى والذوق الفنى الشامل متفاوتة بطبيعة الحال عند الشعراء المساهمين فى هذا الديوان ، وقد أشرت الى ذلك اشارات رقيقة فى مواضعها ، ونحن لا ننتظر غير ذلك حتى ولو انتسبوا إلى مدرسة واحدة ، وانما الذى يعيننا وجود الشخصية الفنية عند كل منهم ، وامتياز طاقهم الشعرية ولو فى هذه المختارات ، لأننا نحاسب هذا الديوان بالذات لا مجاميع أشعارهم ، وأعتقد أن نصيبهم من ذلك يستحق اجمالا ، ولولا هذا الاعتقاد لما خصصت الديوان بشئ من الانتقاد ، فان فى ضياع الشخصية الفنية حكما بالفناء على العمل الادبى ولا جدوى حينئذ من الالتفات اليه)

(وقد اعتاد المحافظون أن يتغنوا برواشم الأساليب المألوفة ، معتبرين أجود البيان ما كان على غرار تلك الرواشم ، معتقن كل أديب مستقل الروح والديباجة ، كيفما بلغت ثقافته من الادب العربى وغيره !! وهذه وايم الله هى الغفلة بعينها ، إذ ما هى جدوى الادب من الدعاية للتقليد الصرف فى التعبير ، ثم للتقليد فى غير التعبير ، بحكم مرض المحاكاة المحبوبة ؟ !! وهل ماضى اللغة أكثر من ذخيرة الاساليب المختلفة ؟ فلماذا تحل تلك الاساليب القديمة وتفرض فرضا حتى على النابهين من الادباء ، ولا يتاح للنابعين المحدثين أن يستقلوا بأساليبهم المفصحة وفق طبائعهم الفنية الاصلية ؟! إنهم يضيفون الى تراث اللغة ثروة بيانية جديدة وللزمن وحده الحكم على قيمتها وعلى أهليتها للخلود ، وليس لأهل الهوى والتعصب الأعمى أن يصدروا تلك الأحكام المربضة)

وأنصت الى أبى شادى وهو يتحدث عن (الحالة الشعرية) ، الحال
التي ينظم فيها الشاعر ، ويرى فيها كل شيء بعين الشعر ، وهنا الفیصل
بين الناقد والشاعر سيما في تباين النظرة بالنسبة للصناعة في الشعر .

يقول أبو شادى (ومن النقد من يرى التفاهة في موضوعات يراها
الشاعر من ألق الموضوعات بالحياة وبالشاعرية ، فهو يفرض شعره
فيما نسميه « والحالة الشعرية » التي ترى كل شيء بعين الشعر ، فإذا
جاء ناقد أو قارئ مستعرضاً ذلك في حالة عكسية ، فلا عجب إذا لم يرفيه
إلا التفاهة والركاكة والحشو والضعف كما صااحب ذلك الشعر أحد
الدهماء وقد تجرد من كل ذوق فنى !! ، ومن النقد من يفتن أى افتتان
بالصناعة اللفظية الرنانة ، ويجاريهم كثيرون من القراء في ذلك وأعمى حجاب
الصناعة يعرفون ذلك حق المعرفة فيغيرون على أشعار سواهم دون أن
يكون لهم شيء يذكر مما سميناه « الطاقة الشعرية » وقد يثابون على
هذه السرقات الجريئة بالتهليل والتكبير حينما يذم الشعراء الأصليون)

* * *

وكانت قوة أبى شادى الناقد تكمن في أعطاف المقارنة ...
المقارنة بأدب الغرب في أروع نماذجه ، ثم المقارنة بانتاج نحول شعراء
العربية في ذات الضرب من القصيد الذى يعرض له

وخذ مثلاً حديثه عن (التصوير في شعر البارودى) ، وفي هذا
الحديث يقول أبو شادى « إن دراسة شعر التصوير فيما اعلم تكاد
تكون غير مطروقة ، وإذا أشير إليها فاتها توجه الاشارة إلى ذلك

الطراز من الشعر الذى يلتفت إلى الطبيعة بصفة خاصة وإن انبثت فيها
الشخوص كقصيدة « الفصول » للشاعر طمس ، وعندى أن شعر
التصوير وإن اتسم بهذه السمة من التعالق بالطبيعة ، أو على الاصح من
المتعلق بروح الطبيعة فإن « معنوية » تتعدى ذلك إلى التأمل الفلسفى
العام كلباب للتصوير وفى الوقت ذاته يشمل النقد الدقيق المبرئيات ،
يختلف الشعر الوصفى فإن تعلقه مقرون بالمحسوسات ، وعلى هذا الأساس
تفرق بين هذين الضربين من الشعر تفريقاً عرفياً »

« وشاعرنا البارودى الذى جددت عبقريته الشعر الكلاسيكى تجديداً
مدهشاً لم يفته أن يتجف هذا الشعر بماذج تصويرية جميلة ، وأشهر شعر
البارودى التصويرى فهو قصيدته فى حرب جزيرة « أقرطش » وقد
نظمها فى أواخر العقد الثالث من عمره ، وعندى أنها من الشعر الخالد
بإصابتها وبلمحها الفنية الجذابة من جميع الجوانب ، وأما شعره الوصفى
فمنبث فى خلال شعره المتنوع ، ومن أمثلة ذلك أبياته فى وصف
الحمام من رأيته المشهورة ووصفه قصر الجزيرة ، وقصيدته فى وصف
طائر على غصن »

ونحن إذا تأملناها شاققنا منها جوانب شتى : فهى أولاً تحفة من
ريشة رسام مفتح ، وهى بعد معرض لحالات الشاعر النفسية ، ونحن إذ
نراه يدقق فى تصوير المشاهد التى خبرها فى ساحة القتال نشعر فى الوقت
ذاته أن ذلك التصوير ليس هو المقصود بالذات وإنما يرتكز عليه حنين
الشاعر إلى وطنه وتصوير خياليانفسه إزاء الحوادث ونكبات خصومه ،
وبذلك جمعت القصيدة بين التصويرين الحسى والنفسى ، وكانت جذيرة

بأن نعد مثلاً رائعاً لشعر التصوير ، أما عن الالفاظ المنتقاة والجرس الموسيقى فهذه القصيدة المثالية آية البر بهما »

على أن أبا شادى فيما كتبه من نقد لفحول الشعراء الأولين كان يعمل دائماً على ادراك الملابس التاريخية والاجتماعية والأحوال الذهنية المتصلة بقصيد الشاعر وذلك لإمكان الوقوف على مرامى شعره ، واذكر له من هذا حديثه عن المتنبي والمصريين فى نقده لقصيد المتنبي وهو يتساءل هل حقد المتنبي على المصريين ؟ وهل كانت له لذة مريضة فى شتمهم ، ويخرج من سؤال إلى أن المتنبي لم يكن يحقد على المصريين بل كان يحبهم وكانت له صلات مودة وثيقة مع خيارهم ، وهم الذين أطاوه على الهروب من أحايل كافور ، وعلى أدبه تتلمذ كثيرون من شعراء مصر الشبان الذين أجلوه أيما إجلال .

ولا يتفق أبو شادى مع حافظ ابراهيم فى أن قصيد المتنبي كانت تقريراً للامة ، بل أن المتنبي ليمتوجه إلى الشعب المصرى وخاصة فى قوله « ألا فتى يورد الهندى هامته ... الخ » ولو كان يائساً من فحولة هذا الشعب وشهامته لما كان من معنى لمثل هذا النداء والتوجه إلى فتى من فتيان مصر ليقول كافوراً ، وينفقت من هذا ليقول (هذا هو روح قصيدة المتنبي ومعناها ، ولا يمكن تفهم شعر المتنبي ولا غير المتنبي على وجهه الأكمل دون الوقوف التام على جميع ملابساته ، وإلا وقع الاشتباه والتوت مقاصده وتجمعت أخطاء الشرح بصورة شاذة) .

كثيرة هي النماذج التي يمكن أن تقطع من أحاديث أبي شادى في النقد والتي تدل على أصالته ، وإلى تعمقه في الدراسة وإلى أمانته في التوجيه ، ثم إلى تجرده من الأنانية مما لا تكفى في تقديمه صفحات رسالة كهذه ، ولكن لعل أصدقاء الشاعر وهم عدد ليس بالقليل من أدباء هذا الجيل يتوافرون على نشر مجموعة (أدبي) في الصورة التي تتفق ومكانتها ، وإلى القدر الذي يمكن من تدارلها وهو أمر لم يستطعه الشاعر الثائر الذي حارب لأشياء إلا لأنه كان يقطع من قوته وقوت أولاده ليخرج لقراء العربية هذه الحصيلة الطيبة من الخواطر والسوانح »

ولكن .. من ريشة رسام مفتن ، وهي بعد معرض لحالات الشاعر النفسية ، ونحن إذ نراه يدقق في تصوير المشاهد التي خبرها في ساحة القتال نشعر في الوقت ذاته أن ذلك التصوير ليس هو المقصود بالذات وإنما يركز عليه حنين الشاعر إلى وطنه وتصوير خبايا نفسه إزاء الحوادث ونكايات خصومه وبذلك جمعت القصيدة بين التصويرين الحسى والنفسى وكانت جديرة بأن تعد مثلاً رائعاً لشعر التصوير ، أما عن الألفاظ المنتقاه والجرس الموسيقى فهذه القصيدة المثالية آية البر بهما »

* * *

على أن أبا شادى فيما كتبه من نقد لفحول الشعراء الأولين كان يعمل دائماً على إدراك الملابس التاريخية والاجتماعية والأحوال الذهنية المتصلة بقصيد الشاعر وذلك لا مكان الوقوف على مراعى شعره ، وأذكر له من هذا حديثه عن المتنبي والمصريين في نقسده لقصيد المتنبي ، وهو يتساءل هل حقد المتنبي على المصريين ؟ وهل كانت له لذة مريضة

في شتمهم، ويخرج من سؤالي إلى أن المتنبي لم يكن يحقد على المصريين بل كان يحبهم ، وكانت له صلوات مودة وثيقة مع خيارهم ، وهم الذين أعانوه على الهروب من أحابيل كافور ، وعلى أدبه تتلمذ كثيرون من شعراء مصر الشبان الذين أجلوه أيما إجلال .

ولا يتفق أبو شادى مع حافظ إبراهيم في أن قصيد المتنبي كانت تقريباً للأمة ، بل أن المتنبي ليتوجه إلى الشعب المصرى وخاصة في قوله « ألا فتى يورد الهندى هامته . . . الخ » ولو كان يائسا من فحولة هذا الشعب وشهامته لما كان معنى لمثل هذا النداء والتوجه إلى فتى من فتيان مصر ليقتل كافوراً ، وينفلت من هذا ليقول (هذا هو روح قصيدة المتنبي ومعناها ، ولا يمكن تفهم شعر المتنبي ولا غير المتنبي على وجه الأكل دون الوقوف التام على جميع ملابساته وإلا وقع الاشتباه والتوت مقاصده ونجمت أخطاء الشرح بصورة شاذة)

* * *

كثيرة هي النماذج التى يمكن أن تقتطع من أحاديث أبى شادى فى النقد والتى تدل على أصالته ، وإلى تعمقه فى الدراسة وإلى أمانته فى التوجيه ، ثم إلى تجرده من الانانية مما لا تكفى فى تقديمه صفحات رسالة كهذه ولكن لعل أصدقاء الشاعر وهم عدد ليس بالقليل من أدباء هذا الجيل يتوافرون على نشر مجموعة (أدبى) فى الصورة التى تتفق ومكانتها وإلى القدر الذى يمكن من تناولها وهو أمر لم يستطعه الشاعر الناثر الذى حارب لا لشيء إلا لأنه كان يقتطع من قوته وقوت أولاده

ليخرج لقراء العربية هذه الحصيلة الطيبة من الخواطر والسوانح»
وفيهما الكثير من الدراسات القيمة عن أدب وأدباء هذا الجيل وعن
آراء الناقد المتحرر في إنتاج مجموعة طيبة من أدباء الشباب ، آراء ساقها
في صراحة مستهدفا البناء لا الهدم .

ولكن هناك ناحية في ابي شادي الناقد لا يجوز أن تغفلها سيما أنها
هي ثمار فجر حياته الأدبية .. الثمار الأولى التي كشفت عن عمق دراسته
وأصالة تفكيره من البداية بل إن هذه الحصيلة في الواقع تقدم لنا آراء
الفنان الأديب في مجموعة طيبة من أدباء الغرب إلى جانب مجموعة أخرى
من أعلام الشعراء والكتاب العرب ، وقد جاءت هذه الدراسات مبعثرة
في الصحف لأمد يصل الى خمسة عشر عاما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٥
ولم يكن من الممكن ان تكون في مجموعها في متناول اليد لولا وفاء
الأديبين محمد صبحي ومحمد العروسي فجمعا ونسقا مختارات منها نشرها
عام ١٩٣٧ في مجلد ضخيم رسم بعنوان « أصداء الحياة » وقد نشرها
مرتبة على حساب الزمن لا الموضوعات ، وتكشف هذه المجموعات عن
تنوع دراسات الشاعر وبالتبعية تنوع الموضوعات التي يعرض لها
بالدرس ففى مجموعة عام ١٩١٢ تلقى بين المختارات دراسة لما يتوارثه
وأخري لأدب القرآن وأخرى للكاتب الشاعر المتدين جون ينيان
صاحب كتاب « سير الحاج »

وفي مجموعة عام ١٩١٣ تلقى دراسة للمصرى وأخرى للشاعر
الانجليزى أوليفر جولد سميث ، وفي مجموعة عام ١٩١٧ تلقى دراسة
لجمهورية أفلاطون ودراسة للعالم الألمانى أرتست هيكل وثالثة فى ألمعية

أبي نواس وفلسفة المزاء والغفران . . . وهكذا
فهذه المجموعة من نثر أبي شاذى فى خمسة عشر عاما تقدم لنا
موسوعة علمية مختلفة الألوان لدراسات مختلفة الصور

والذى يوجهنى الى تقدير هذه المجموعة على التخصيص هى ماتجده
فيها من دراسات لعدد غير قليل من فلاسفة وشعراء وكتاب الغرب من
أوطان متعددة فيهم الانجليزى والالمانى والبولندي وغيرهم وغيرهم مما
يدل على الميدان الفسيح الذى كان يدرس فيه وينقب باحثا عن المعرفة
ولننصت مثلا الى حديثه عن تشارلز ديكنز، وهى دراسة من
مختارات عام ١١٩ أى منذ أكثر من ثلث قرن .. ولكن أول ما نقابله
فى دراسته هو توضيحه تأثر الكاتب والشاعر بطبيعة الحياة فى عصره
يقول ابوشاذى (ص ١٧٢/١٩٣ من مجموعة نثره)

(كان ديكنز مهوما بالأمراض الاجتماعية والاقتصادية فى عصره
فصورها أصدق تصوير وأفاض من ينبوع قلبه على قرطاسه فى رسم
شخصه الكثيرين الذين مها انتقدت غرابة بعضهم أو شذوذهم أو
اختراعهم فانهم مع ذلك ينبضون جميعا بالحياة الى درجة مدهشة »

(كان ديكنز خصب الانتاج الى درجة بالغة، ومع ذلك فجميع
قصصه تقريبا تتسم بالأصالة وهى ذخيرة أدب ومعارف عامة وتجارب
حيوية وقد حفظت لها هذه الأصالة خلودها الى الآن والى ما بعد الآن
وبالرغم من تطور الذوق الأدبى تطورا سريعا مبتعدا عن مألوف الاطالة
والتكرار والتحليل المتناهى مما كان شائعا فى عهد ديكنز . وهذه هى
البرة الفنية التى يلاحظها المتأدبون الناهون فى كل أمة والتى يجب علينا
كذلك أن نلاحظها ونحفل بها ونبشها فى نفوس المؤلفين من أبناء العربية

الذين ما يزال معظمهم يعنى بالنقل والمحاكاة والاقتباس والاقتطاف وما الى ذلك من آثار القدامى دون أن يقدروا الابتداع قيمته وأثره. وكثيرون من قرائى لابد أن يكونوا قد اطلعوا على (قصة المدينتين) التاريخية ، فهل لو كتب غير ديكنز هذه القصة أكان يلونها مثل هذا التلوين العاطفى الانسانى ؟ ان أدب ديكنز فى معظمه (أى بعد تجاوز آثار الصبا) أدب شخصى أصيل فى نبعه الفنى وإن يكن أدباً عاماً فى تطبيقه على الحياة الانجليزية — وبالأخص حياة لندن — وادبا إنسانيا فى شموله . فكيف لا يخلد مثل هذا الأدب وكيف لا يكون درساً بليغاً لكتابنا المنشئين ! »

وتلقى فى كثير من دراسات أبى شادى لأدباء الغرب هذا التوجيه الذى جاء فى الكلمات الأخيرة من حديثه عن ديكنز ، ألا وهو ضرورة انتفاع أدباؤنا المنشئين بالدروس التى يخرجون فيها من دراسة إنتاج أعلام الأدب الغربى ...

وابو شادى الناقد لا ينظر إلى قصيد الشاعر أو ادب الكاتب نظرة خالصة لأقيسة الشعر أو الألفاظ والمعانى ، ولا ان يقدر الموضوع تقديرًا إنشائيا ، فان أباً شادى الناقد إنما يتجه إلى اعتمق من هذا... إلى إيضاح النزعات الغلالية على أدب الكاتب ، ثم التيارات المتباينة التى كانت تمتاز داخل رأس الشاعر فتكون فى النهاية مزيجاً واحداً يجمع عناصر شاعريته ...

وهذا النوع من الدراسة التحليلية تلقى منه أنموذجا طيبا في حديثه
عن الشاعر الانجليزي القصصى جورج مروث «راجع دائرة المعارف
هارمسورث»

«وإلى جانب ما في هذا الشعر من البراعة النظمية تلاحظ نزعه
السيكولوجية في التحليل ، وما في هذا الشعر من تركيز المعاني ، ومن
الشغف بدراسة الانسان ، وهي الدراسة العليا في نظره ، وكما أنه يقدر
للنغم الموحى أثره في النظم فهو بمزاجه الثقافي يعنى كذلك بالكلمات
الرمزية التي تسكن اليها نفسه الرومانتيكية . هو شاعر ميتافيزيقي إلى
حد غير قليل ك شعراء القرن السابع عشر ، ولكنه كذلك مفكر اجتماعي
ثو من بالعلم والمعرفة وحقائق الحياة الواقعية ، ومن هذا التناقض يخلق
مزيجاً عجيباً لعناصر شاعريته التي بدأت تشتعل وهو في الحادية والعشرين
فكان يوافي المجلات بشعره كما كان يرتق من الاشتغال بالصحافة ، ولا
أدل على مكانته الذهنية من تعلقه وهو في هذه السن المبكرة ببيئته
الراديكاليين (المتطرفين) العقلين في لندن ومن أشهرهم فردريك
هاريسون والاميرال ماكس وجون مورلي ، وقد عاش مدة قنوعا بهذه
الأقلية من المفكرين الراجحين حتى في الوقت الذي كان يخرج فيه أهم
قصصه . ولكن هذه الصداقة الفكرية أتاحت له فرصا للتعاون الادبي
مع أفضل الناشرين ومع مجلة (الفورتنيل ريفيو) وربطته بتخيرات العلاقات
مع الأدباء الذين كانوا يلجأون الى مؤازرته وفي مقدمتهم توماس
هانفدي وجورج جسنج »

« بيد أنه من الحق المؤلم أن مردث لم يقدر التقدير الواجب عند الخاصة إلا حين بلوغه السبعين حينما انتخب رئيساً للنادى المؤلفين ، وعند الجمهور لم يقدر أدبه إلا بعد وفاته ، وهي العادة التي تجرى في كثير من الأمم المحافظة وفي مقدمتها إنجلترا في معظم الاحوال ، ولو أن الحرب قد بدلت الكثير من هذه الروح . وهو في قصصه المحبوبة يرمي أساسيا إلى دراسة الشخصيات وله براعة خاصة في تصوير الشخصيات النسائية بما لا يقل عن براعة شكسبير نفسه . وقد كان مردث يؤثر من هذه القصص روايته (سيرة بيوكاب) التي ترمز شخصية البطل فيها إلى صديقه الاميرال ماكس ، وهي قصة غنية بحوادثها وموضوعاتها كما هي غنية بديباجاتها وجمالها التحليلي للعواطف والشخصيات ومن اهم قصصه بلاشك رواية (الانانى) وهي تحوم حول فكرة ان الرجل المجرد من روح المرح في حكم الميت ، واسلوبه في هذه الرواية معقد بالنسبة لذوق الجمهور الذي يريد الأسلوب الروائي المؤلف لمحض التسلية ولكنه أسلوب يرتضيه القارئ المثقف الذي يعنيه موضوعها النفساني التحليلي البديع وقونها الدرامية الانسانية »

والغريب أن يتحدث ابو شادى في عام ١٩٢٠ وهو لازال دون الثلاثين مندهشا من أن جورج مروث لم يقدر عند الخاصة حتى بلغ السبعين ، فان أبا شادى نفسه على تباين الجيلين ، الجيل الذي عاش فيه (جورج مردث) والجيل الذي عاش فيه (أبو شادى) نفسه ، قد لاقى

ذات الاغفال ، ولم يقدر عند خاصة المتأدبين المتألهين شيوخ الأدب حتى مات وهو يمد يده نحو منتصف الحلقة السابعة من عمره .

وتجد ذات النظرة من الناقد المتحرر .. ، النظرة التي تعنى بالنزعات والتيارات التي تخلق العبقرية : تجد هذه النظرة في حديثه عن برناردشو وأنصت له وهو يقول عنه في مختارات عام ١٩٢١ .

» ذلك هو مظهر عبقرية برنارد شو الدرامي الناقد الساخر الذي لم تسلم ناحية من نواحي المجتمع من هجماته . ولقد اختار الاسلوب الساخر الهزل مجالا لأفكاره وضمينه في شجاعة متناهية نقداته في اصالة ظاهرة . وهو يعد في ذلك قرين صموئيل يتار ، كما يعد في كثير من نظراته تلميذا ايسن و كارل ماركس و نيتشه . نقرأه فنستمتع بروحه الخفيفة وطلاوة نكاته ، ولكننا نشعر في الوقت ذاته اننا أمام استاذ متفضل له في كل وقت منزله و شخصيته . وأعظم ميدان برزت فيه مواهبه هو ميدان النقد الاجتماعي إذ تجده لا يتهيب معالجة أدق المشكلات بطريقته العقلية . ولئن لم يكن تلميذا مخلصا لماركس و مردييه فإن هذا لا ينتقص اخلاصه لتفكيره الشخصي وتعزى روحه الانسانية منذ شبابه إلى إعجابه بالشاعر شيلي ، ومنه ومن ماركس قبس جراءة التعبير والنقد في شتى المسائل الاجتماعية التي عالجها . مثال ذلك في كتابه (الماجور بارابا) بصور شو الفقر أساس الرذائل في المجتمع القائم على المال ، وفي كتابه (منازل الارامل) يظهر لنا (الرجل) الرجل النزيه مسئولا عن نقيصة اجتماعية وقس على ذلك بقية مؤلفاته

التي لن تترك الدين ولا العلم ولا الاسرة ولا المجتمع عامة بدون تشريح
 فاحص مظهر لعيوبها الخفية وعناصر ضعفها الكامن ، وله أسلوب
 معين في دراماته قوامه النقاش بين الخواطر الممثلة والشخصيات
 المختارة ، وهو في الدراما الفكرية يجارى ايسن وان لم يبلغ منزلته في
 التعمق ، وكلاهما لا يعتمد على شخصيات حية حقيقية وانما على مخترعات
 من بنات تخيله للتعبير عن آرائه ، وعلى هذا لم يكن الخلق الدرامي
 الحى قويا عند شو ، لأن حيويته النسبية مستمدة من الذكاء ، وليس
 مصدرها الواقع ذاته في عالم الدنيا . ولكن أليست بغية شو تحويل
 التيارات الفكرية والعاطفية عن طريق إيجائه المثالي لا الوصف الواقعي ؟
 وإذن فليس له أن يجارى الطبيعة »

* * *

وفى هذه الفقرة الطويلة ، وابو شادى كان من ابرز مظاهره فى
 نتاج فجر حياته الادبية الفقرات المتكتلة . . . التي يضطرو معها القارئ
 إلى أن يسير طويلا مع الكاتب دون توقف يمكنه من التفكير ،
 ولهذا فن الضرورى لاستيعاب ما يستهدفه الكاتب أن تطالع سطره
 أكثر من مرة .

والشئ الذى أتمق بأن القارئ قد لاحظته فى دراسات ابى شادى
 طابع الأدب المقارن ، فهو يقدم إلى جانب الشاعر أو الكاتب الذى
 يؤرخ له غيره من شعراء وكتاب عصره أو غير عصره الذين
 يتفقون معه أو يختلفون فى الاسلوب أو الامثله أو الاهداف متى وجد

الطابع الذى يمكن من المقارنة ويصلح لها ، ويكون فى هذه المقارنة
رس يستهدفه الناقد لابرازه ، سيما عند الحديث عن مؤثرات الجيل أو
البيئة الاجتماعية التى عاش فيها الكاتب .

وتلقى الحديث عن طابع العصر فى حديث ابى شادى عن مونتسكيو
صاحب كتاب (روح القوانين) ، وفى هذا يقول أبو شادى من
مختارات عام ١٩٢٤ .

« من ذا يصدق أن كتات مونتسكيو الخالد (روح القوانين)
الذى يعد من أنفس الكتب العالمية هو بعينه الكتاب الذى أشارت
لجنة أدبية من أصدقائه الاعلام النقاد فى عصره باهماله ؟ ! ان هذا الحادث
الادبى التاريخى يجب أن يبقى عزاء المؤلفين النابهين الذين لا ينصفهم
أقوانهم عن قصور فى التقدير سببه الالفة أو غير ذلك ، ويجب أن
يلهم الكاتب الذى يؤمن بنفسه ورسالته الثقة العميقة بعمله ، فلا يغفله
اكراما لعيون النقاد الذين ربما لم يصلوا إلى مستوى ذكائه واشعاعه »

« يعد مونتسكيو أول أديب انسانى تأثر على البيئة المتعفنة التى
خلقها حكم لويس الخامس عشر ، فان هذا الملك كما قيل ورث جميع مساوىء
جده الأكبر دون أن يرث شيئاً من محامدة فى السياسة والوقار ، فاذا
بفرنسا تعاني شر أنواع الحكومات الاستبدادية وما يصحبها من ارهاق
الضرائب ، وانعدام العدالة للفقراء وضياع حرية الخطابة والكتابة
وذهاب الادارة الصالحة ، حتى أن النبلاء أنفسهم فقدوا اهتمامهم بالمآثر
بالأدب ، وحتى أن الكنيسة ذاتها كادت تطرح اهتمامها برسالتها

الدينية ، و كان الجيش جائعا مسخراما أدى إلى اتباع انتصارات القرن السابع عشر بانهمزات القرن الثامن عشر لفرنسا . وفى هذا الجو بدأ مونتسكيو حملته الرائعة على هذه البيئة فى صورة رسائل عنوانها (الرسائل الفارسية) على اعتبار أنها من أقلام سائحين من الفرس وافدين على باريز ، وهى مكتوبة بأسلوب رشيق فكه ، وفيها من الاوصاف العجيبة لمفاسد الحياة الفرنسية مالا تجود به الا براعة عبقرى ، ولم يكتف بالتحليل والوصف بل شفع ذلك بالمنشورات القيمة على علاج تلك الحالة . »

وصدق ابو شادى فى أن كتاب مونتسكيو لم يحظ باهتمام وتقدير اعلام النقاد فى عصره ولكن حظى ولا شك بتقدير القراء ، وكان له اثره فى توجيه الجماهير ، لقد كان تأثير كتابات فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو وغيرهم من اعلام ذلك العصر الاثر الاكبر فى جبهة القراء ليس فقط فى فرنسا ، بل فى أوروبا كلها ، وكان لها اثرها فى الروح الثورية التى جاءت بحقوق الفرد ، وكانت دعامة الوصول إلى اقرار حقوق الانسان بعد قرابة المائتين من السنين .

وفى تغير الألوان التى طرقتها ابو شادى فى نثره فى هذه الفترة الدراسية الاعدادية من حياته الادبية تلقى حديثه عن رجل من بواكير اعلام القصة هو (بوكاشيو) أو على ما يسميه هو (بوكاتشيو) ، وفى هذا الحديث تلقى دقة مقارنة ابى شادى لابن لوزين من انتاج القصص الشاعر فان صاحبنا لم يكن شاعرا وان كان من الضروري ان

يلحق به هذا الوصف بحكم ماله من قصيد — ولابن انتاجه في مرحلتين من مراحل حياته كما هي الحال في حديث عن الشاعر جورج مروث وانما في نقاشه لانتاج الشاعر في لغتين مختلفتين اللاتينية والايطالية ولم يكن أبوشادى يعرف اللغتين على التحقيق .. ولكنه رجع في حكمه إلى هذا من دراسته لانتاجه في اللغتين منقولا الى الانجليزية .

والواقع الى غاية مايدولى ان القصاص الايطالى كان اقوى فيما كتب بالايطالية ، وتكن قوته في بساطة سرده ، وفي اقتطاعه حوادث وشخص قصصه من صميم الحياة ، فلا افتعال ولا تعقيد . . . بل ان القارئ يتابع القصة وكأنه يرقب صورا كثيرة متلاحقة تمر أمام عينيه لحياة أناس يعرفهم ، وهو يضحك او يحزن .. ويسر او يغضب كما يفعل في الحياة الحقيقية بمادياتها للحوادث التي تمر به من حياة الناس الذين يعرفهم لأنهم يعيشون في البيئة التي يعيش فيها .

يقول أبوشادى عن ، بوكاتشيو (من مختارات عام ١٩٢٥

» كان بوكاتشيو كاتباً خصب الخيال بارع التعبير سخي الانتاج في اللغتين اللاتينية والايطالية كما كان أدبيا إنسانى الروح — ولكن كتاباته اللاتينية هي دون مستوى تأليفه بالايطالية ومع ان شعره لم يكن خفيف الظل فيؤثر له أنه واضح وزن الموشح المعروف باسم Ottava Rima وقد تابعه فيه الشعراء ولكن مايعنينا بل مايعنى تاريخ الأدب الايطالى منه أنه كان أول ناثري في اللغة الايطالية ، وتتجلى هذه العظمة بصفة خاصة في كتابه الخالد

(الديكامبرون) وهو ما أريد الكلام عنه في هذا المقال راجيا ان تتاح الفرصة لأحد أدبائنا القديرين لينقل قصصه إلى العربية كييفما كانت نظرات الجيل الحاضر من الوجهة الفنية الذوقية إلى تلك القصص الصادقة الصريحة. إذ لا يمكن أن تكون اللغة العربية المنزلة اللائقة بها ما لم تستوعب أشهر التأليف العالمية والا كانت في حكم الميتة، وما اضاع لغتنا المصرية (اللغة القبطية) الا قصرها على شؤون الدين وعدم نقل العلوم والآداب إليها فانصرف الناس عنها، يضاف إلى ذلك تأثير الفتح الاسلامي، واصبحنا الآن نصطنع لغة داخيلة بديلة عنها لسانا قوميا فاذا أهملنا هذه اللغة فإلها ولو ثقافيا ما كمل سابقتها » .

كان هذا حديث أبي شادي منذ ثلاثين سنة عن ضروره نقل آثار الغرب إلى لغتنا العربية، وقد عمل ابو شادي جاهدا في هذا الميدان ونقل الكثير من قصيد الشعراء الانجليز إلى اللغة العربية نظماً ونثراً ثم عمل في الاتجاه الآخر فكتب بالانجليزية، كتب كتابه الأول الذي وسم بعنوان (At Random) فنقل إلى قراء الانجليزية في الغرب والشرق الكثير من الصور والآراء المصرية الخالصة القومية، وكان نجاحه في هذا عظيما ونال من تقدير الأدباء العالمين ما شجعه على المضي في سبيله يكتب بالانجليزية سيما عندما نزل أمريكا مهاجراً بالاضطرار منفيّاً بالاخيار، ولكن الحديث عن أبي شادي في كتبه ودراساته التي نشرت بالانجليزية يتطلب دراسة من دراسات الأدب المقارن وهذه تتطلب فسحة في الوقت لعل أوفق إليها يوماً ما لو كان في العمر بقية .

إلى هنا أقف في الحديث عن الصديق الأملعي أحمد زكي أبو شادي
 الطبيب ، الفنان ، الشاعر ، الناثر ، النحال ، الاقتصادي ، المؤمن
 المتصوف ، الرجل المتعدد الصور الذي طرق بكتابات شتى ضروب
 التحرير والكتابة فكان عالماً في كل ما جرى به قلمه وما حرره براعة
 إلى هنا أقف في الحديث عند حد هذه الصفحات وهي غاية
 ما استطعت في الساعات الأولى عقب ان جاءني نبأ وفاته ، كتبها
 وأنا أحس بالألم المحض لفقده ، ولكني مع هذا أقول بأن أبا شادي
 يستحق ان تكتب عنه عشرات المجلدات الدراسية لأدبه وانتاجه وهو
 واجب أولئك الذين نشأوا في مدرسة (ايلولو) ولعلمهم يفعلون
 رحم الله أبا شادي وعزاء للناطقين بالضاد

إن تذوق معجزة القرآن البيانية الموسيقية — تلك
 السيمفونية الآلهية الرائعة — يترتب على حسن معرفة العربية
 ولهذا وجب أن تكون قريبة للغة الأهلية في كل قطر اسلامي ،
 وأن يكون لها اعتبار رسمي رفيع . وبعبارة أخرى ينبغي أن
 تكون اللسان الرسمي المشترك لأقطار العالم الاسلامي جميعا . ويجب
 أن ينزل منزلة الاحترام بل التقديس .

أبو شادي في مقال (تدريس الاسلام)

مجلة صوت العروبة ابريل ١٩٥٥

4582









(~~_____~~)

PJ7808

.S5xZ53

Princeton University Library



32101 060544408

P